مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : ايلول سنة ١٩٢٥ م الموافق صفر وربيع الاول سنة ١٣٤٤ هـ

انعاش العربية (١)

ان المهمة الملقاة على عاتق رجال العلم اعظم مما يقوم باعبائه اقطاب السياسة وابطال الحروب ومن شاكلهم ممن لهم ضلع في اعلاء شأن الامة لان هؤلاء قد ينهضون امة الى مستوى السعادة ولكنهم لا يعدمون ذماً في الحال وذماً في المآل . هذا اذا اتيح لهم ان يبلغوها ساحل السلامة ولم يطوحوا بها في مهواة من الدمار والبوار تجعلها كأمس الدابر . وفوق هذا فانهم لا يستطيعون احياء امة الا بامانة غيرها اما الاولون فانهم يبنون لها صروحاً من المجد الشامخ والشرف الباذخ على اسس السلم ودعائم العلم ويتوخون لها اصفى الموارد واقوم المسالك فتحيا ويحيى غيرها معها والفرق بين الفريقين عظيم .

واذا اضفنا الى ذلك ان اللغة نموذج يمثل من الامة حسبها التالد وشرفها الطارف وعنوان يدل على مبلغها من الحضارة والرقي وتاريخ ينطق بمفاخرها اتضحت لنا باجلي وجه منزلة المجامع العلمية ودرجة الاعمال الموكولة الي رجالها .

أبه الغربيون الى مكانة اللغة وتأثيرها في الهيئة الاجتماعية فاخذت كل امة منهم تفرغ ما في وسعها لاحياء لغتها ونشرها في البلدان القاصية والارجاء النائية فكانت اعظم داعية للفتح والنجح وسيلة للاستعمار فقد كانت تستميل بها الابصار الى مدنيتها

(١) الخطاب الذي القاه الاستاذ السيد سليم الجندي يوم انتخابه عضواً في المجمع العلمي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الزاهرة وتسترعي الاسماع الى مآثر ابطالها وانجادها وتستهوي الافئدة الى التشبع بآدابها وعاداتها وكان لها من الاثر في انسلاخ الضعيف من قوميته ونزوعه الى الاندماج في القوي مالم تغن الجيوش الكثيرة العدد والعُدد غناءه وما يغنينا عن الاطالة فيه مانشاهده اليوم في كثير من ابنائنا بعد ان كان آباؤنا بالامس يشاهدونه في ابناء غيرهم من الامم الضعيفة ·

ولقد اتى على العرب حين من الدهر لم تكن فيه امة من الامم لتشق غبارهم في العناية بلغتهم حتى بلغت مابلغته من السعة والاستفاضة بين اقصى الصين والجزائر الخالدة في اسرع من لمح البصر · وقد كانت تسير في ذلك العهد مع المدنية العربية جنباً لجنب وكتفاً لكتف وترتقي في معارج الحياة على قدمي الحضارة والعلم ·

ومن رجع بصره الى ما ابقت الايام من التاريخ والفهارس واحاط علماً بما أُلف فيها من المعاجم والموسوعات وكتب البلاغة والادب والنحو والصرف والمقصور والممدود والكنايات والاضداد والعروض والقوافي والاشتقاق وآداب الكتاب وتهذيب الالفاظ وما ماثل ذلك مما تتعذر الاحاطة به — علم مبلغ عنايتهم بها واهتمامهم باعلاء شأنها ·

ثم لما دالت الايام بالعرب وقلب لهم الدهر ظهر المجن اخذت في الانحطاط تبعاً لهم لان اللغة من الأمة بمنزلة الظل من الشخص تتعبها في الامتداد والارتقاء واضدادهما وقد زادها ضغثاً على إبالة تغلب الاعاجم على العرب قروناً كثيرة فسهل ذلك تسرب العجمة والرطانة اليها حتى افسدت جوهرها وقطعت اوصالها وذهبت برونقها ونضرتها وضربت فيها بعرق ذي أُشب ثم اصبحت على تعاقب الايام غريبة في اهلها وآل امرها الى ما نعلم ونرى · غير انها لم تعدم في كل عصر ومصر من يُعنى بتعهدها والاحتفاظ بالبقية الباقية من ذمائها حتى قيض الله لها من ابناء هذا الجيل فريقاً شعروا بالواجب فعمدوا الى بعثها من مرقدها ونفثوا في رُوعها روح الحياة الجديدة فنهضت من كبوتها وأخذت تنفض عنها غبار الهجر وصدأ الاهمال ولكن طول الفترة اعوز القائمين بهذا العبء الثقيل الى اعمال جمة لا يمكن ان تنال الا اذا تضافرت الأمة باسرها على تذليل كل صعب وازالة كل عقبة في سبيل الغاية المنشودة · وهذا امر بعيد المنال لغلبة الجهل في ابناء الأمة واضمحلال الاواصر الواصلة بينهم وبين اللغة واختلاف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اهوائهم ومنازعهم الا ان هذا لا يجب ان يكون داعيًا الى الاستسلام الى اليأس ولا حاملاً على الاخلاد الى الدعة والخمول .

و يلوح لي ان خير وسيلة تضمن انعاش اللغة وسيرها مع مدنية العصر الحاضر وتحفظ جوهرها من تسرب الخلل اليه . ان ننقح من شائبة العجمة والركاكة وان لا يصار الى الدخيل او العامي الا عند العجز عما يرادفها من الفصيح لان التسامح في استعمالها يفضي الى افساد اللغة وتكثيرها بغير فائدة والتباس الفصيح بغيره وانتشار الفوضى فيها والدليل على ما ذكرنا من وجوه .

منها ان الكلمة اذا كانت موضوعة لمعنى بالوضع العربي ، ثم تداولت العامة كلمة اخرى تدل على ذلك المعنى فاما ان نقول بجواز اللفظين معًا فيكثر سواد المترادفات وهذا مايأباه البلغاء في هذا العصر و يسعون للتخلص منه ، واما ان نهمل العربي العريق في العربية ونحتفظ بالعامي وهذا لا يرتضيه من ضرب بسهم في العلم لانه يستلزم ان يزال المعنى الصحيح من المعاجم والكتب حذراً من اللبس واستعمال المهجور وان يبطل الاحتجاج به وينقض كل ما بني عليه من ضروب البلاغة والمحسنات في النظم والنثر و يستلزم فوق ماتقدم ان يتعدد الوضع في كل مصر واقليم . ومثال ذلك ان لفظ البلبل مثلاً يطلق في عرف الدمشقيين على الدوامة وهي الفلكة يلف عليها الصبي خيطًا ثم يطرحها على الارض فتدور واهل المعرة يسمونها « الصياح » فاذا قلنا بجواز استعمال الالفاظ الثلاثة وقعنا في المترادف وتعدد الوضع ، وان قلنا بجواز الاول دون الاخيرين او الثالث دون الاولين فهو تحكم محض وترجيح بلامرجح و يترتب عليه زيادة معنى آخر للبلبل والصياح لم يكن لها في اصل الوضع ولا اثبت في مظانه من كتب اللغة حتى يعلمه غير الدمشقي والمعري مثلاً . فلم يبق غير التمسك بالفصيح الصحيح لعدم ترتب شيء من المفاسد المذكورة عليه و يقال مثل هذا في الدخيل . و يزاد عليه ايثار الاعجمي على العربي لغير علة ظاهرة ولا حكمة مدركة .

ومنها اننا اذا اضفنا هذه الالفاظ الجديدة الى مافي المعاجم اختلط الحابل بالنابل وعسر تمييز الفصيح من غيره وما عربته اووضعته العرب مما عربه او وضعه غيرها وهذا يستلزم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان لايكون الكلام فصيحاً او بليغاً لفقد شرط الفصاحة والبلاغة فيه وهوالوضع العربي ولو اردنا ان نشير عند كل لفظ الى واضعه لخرج الامر عن حد الاحاطة به ٠

ومنها ان الشعر القديم مادة اللغة وأساسها ومحكها وقسطاسها ولوتسامحنا باستعمال الدخيل واخيه لأدى ذلك بعد قليل الى هجر اللغة القديمة والاستغناء عنهـا باللغة الجديدة لان النفوس نزاعة الى اطّراح ما فيه كلفة والاعتصام بالقريب السهل وهذا يفضي الى محو اللغة القديمة والقضاء على الآداب العربية بجملتها لانهـا مبنيـة على هذا الاساس ٠

وهناك وجوه كثيرة ضربنا صفحاً عن ايرادها خشية السآمة والملل ٠

وربّ معترضٍ يقول ان هذا التكليف يستلزم استعمال الكلمات الوحشية و يكون عقبة كؤوداً في سبيل العلم والأدب لان الكاتب والمؤلف مثلاً اذا حاول العدول عن كلمة أعجمية لايعرف مرادفها من العربي اضطر الى وقت طويل وعمل جزيل حتى يجد ضالته وهذا يحول بينه وبين إتمام ما شرع ما فيه أو يؤخره عنه وربما لا يجـد بغيته على الرغم مما يصرفه من الجهد في البحث والتنقيب ٠

والجواب على ذلك :

اولاً ان الوحشة التي نجدها في بعض الكلمات العربية لم تجئ الامن طول هجرها وانقطاع المواصلة بيننا وبينها ولو تداولتها الالسن ردحاً من الزمن لزالت عنها تلك الوحشة واصبحت خفيفة الوقع على اللسان والسمع والدليل على هذا ان الكلمات التي ارشد اليها هذا المجمع الموقر مثل الجواز والفسح والمرأب والحارة والران والمعطف والكمة والبيان ونحوها كانت تعد وحشية غريبة فلما صقلتهـا الالسن والاقلام مدة يسيرة انست بها النفوس اكثر من مرادفاتها الاعجمية وما اخال ان احداً يقول ان لفظ البسابورط والباص والكاراج والميقروفون والطيافات والبلدرين والقالبق والعلم بخبر اخف وقعاً ولا اكثر انساً ولا اوفر رشاقة من لفظ الجواز والفسح وما عطف عليهما ٠

ثانياً : اننا لاننكران فيما اسلفناه شيئاً من الحرج ٠ ولكن البناء على اساس صحيح مهما كان فيه من الكلفة خير من البناء على اساس فاسد لا كلفة فيه لان البناء على الفاسد فاسد ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثالثاً : ان الباحث لايجب عليه ان يجد بل يجب عليه ان يبحث فاذا لم يجد حاجته اوما يقاربها لجأ الى الدخيل او العامي ونزل فيهما على حكم الضرورة ولا يتسنى للغة ان تستعيد مجدها الا اذا كثر الباحثون ولو اتيح لهذه الامة ان يكثر فيها المتعلمون الشاعرون بمكانة اللغة في المجتمع البشري و ينهجوا في احيائها على قاعدة توزيع الاعمال فينقب الطبيب مثلاً عن اسماء العلل والامراض والمفردات والتاجر عما يحتاج اليه في تجارته والصانع عما يختص بحرفته والعالم والمؤلف والشاعر والكاتب عما يفتقر اليه كل مهم لنهضت في وقت قصير الى مصاف اللغة الحية ٠

ولكن الايام جعلت كُلاًّ منا كَلاًّ على اخيه يتوقع النجح منه حتى اصبحنا كلنا عالة على غيرنا ولم تدع لنا بارقة من امل الا في هذا المجمع الموقر ٠

على اننا اذا نظرنا الى سير اللغة في البلاد السورية بعد جلاء الترك عنها وما قطعته من الاشواط البعيدة في بضع سنين رأينا امامنا فسحة من الآمال تبشرنا بمستقبل زاهر ولهذا لايجدر بنا ان نفتر عن العمل ولا ان نحتقر شيئاً منه مهما كان قليلاً فان السيل العظيم يتألف من قطرات صغيرة والليّنة تخرج من نواة ورب همة أحيت امة ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net